الفصل الأول

ترجمته ﷺ العملية لما جاء في القرآن الكريم

مع سورة الإسراء

للمسجد الأقصى مكانة خاصة ومرتبة عالية عند الله تعالى، وهو ما يظهر جلياً واضحاً في آيات القرآن الكريم التي نزلت فيه، والتي تكفي وحدها أن تعلق به القلوب، وتعظم في النفوس شأنه وقدره، فما أحبه الله وجب علينا أن نحبه، وما أعلاه الله وجب علينا أن نعلي مكانته وشأنه، وما قدّسه الله وجب علينا أن نجلّه ونقدسه.

ولأنني لست بصدد البحث في نهج القرآن في تعزيز مكانة المسجد الأقصى المبارك في نفوس المسلمين، فسوف أقتصر هنا على التعرض للكيفية التي أبرز فيها النَّبي ﷺ تلك المكانة المذكورة في القرآن لأصحابه كي ينتبهوا لها ولدلالاتها، وتنعكس بعد ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم تجاه المسجد الأقصى المبارك، ولا عجب في ذلك، فقد كان خلقه القرآن، ولذلك فإن أي لفتة منه ﷺ صغيرة أو كبيرة، لا بد أن تتضمن معاني كثيرةً وتوجيهاتٍ عديدةً لأتباعه من بعده، وهو ما سنعرض له هنا.

فقد أثنى الله تعالى على المسجد الأقصى المبارك، فخلَّد ذكره في صدر سورة الإسراء التي تتوسّط القرآن الكريم، ليكون المسجد الأقصى المبارك جزءاً من الكتاب، من فرّط فيه وخذله خسر وذلَّ وخاب.. وكان من ثناء الله تعالى على المسجد الأقصى المبارك أن جمع بينه وبين المسجد الحرام في آية واحدة

obeikandl.com

لا يفصل بينهما إلّا حرف الجر (إلى) وذلك إشارة إلى عمق الصلة بين المسجدين وتميزهما عن سائر بقاع الأرض.. وأضاف إلى ذلك وصفه وصفاً عجيباً وقف عنده صاحب الظلال بقوله: «ووصْف المسجد الأقصى بأنه (الذي باركنا حوله) وصفٌ يرسم البركة حافّة بالمسجد، فائضة عليه. وهو ظلٌّ لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل: باركناه، أو باركنا فيه. وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب»(١).

وأتبع ذلك بمجموعة من الآيات المتعلقة بماضي وحاضر ذلك المسجد منها آية ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧].

والشاهد هنا هو كيفية تعامل النَّبي ﷺ مع هذه السورة، والذي يوضحه الحديث الشريف الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**كان النَّبي ﷺ لا ينام، حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل**»(٢).

ومعروف أن لسورة الإسراء اسماً آخر هو سورة بني إسرائيل.. بمعنى أن النَّبي ﷺ كان يخصص أكثر الأوقات صفاء كلّ ليلة لقراءة تلك السورة، يتذكّر فيها المسجد الأقصى المبارك، وينام وهو يتدبّر ويتمعّن فيما أنزله الله تعالى عليه بشأن هذا المسجد المبارك..

كلّ ليلة.. يستذكر مِنَّة الله وفضله عليه بتلك الرحلة المباركة بين البقاع المباركة..

يستذكر الآيات الكبرى التي أراه الله إيّاها ليلة الإسراء والمعراج، والتي منَّ الله بها عليه بقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١٧/ ١]..

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، تفسير سورة الإسراء.

(٢) الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٤٠٥، وفي صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٤٨٧٤، خلاصة الدرجة: [صحيح].

يستذكر تلك العلاقة الوثيقة بين المسجدين الحبيبين إلى قلبه؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى، اللذين جمعتهما آية واحدة في مطلع تلك السورة العظيمة..

يستذكر تكريم الله سبحانه وتعالى له بأشرف أهل الأرض: الأنبياء والمرسلين، بصلاته إماماً لهم في ساحة المسجد الأقصى المبارك، ليكون ذلك المسجد منصّة التكريم الرّبانيّة له في وقت اشتد فيه عنت قريش وأذاهم له ولأتباعه، وصدّ أهل الطائف وامتناعهم عن اتِّباعه، بل وتحريض سفهائهم على النيل منه..

يستذكر تكريم الله سبحانه وتعالى بأهل السماء، بمعراجه خلال السماوات العلا رفقة الروح الأمين، ومروره على الملائكة المقرّبين وسلامهم عليه.. ثم وصوله مرتبة رفيعة لم يصلها نبي مرسل أو ملك مقرّب..

يستذكر كل ليلة ما يدبره اليهود، أشد الناس عداوة، للمسجد الأقصى المبارك، والأحداث العظام التي ستنتهي بتطهيره منهم، ومن دنسهم ورجسهم، ودحر كل علو وفساد وإفساد لهم..

كلّ تلك المشاهد والانطباعات، رافقت القراءة اليومية لسورة الإسراء.. وهو هدي نبوي دلّ عليه ذلك الحديث الشريف..

إضاءة: قراءة سورة الإسراء بشكل دائم من هدي النَّبي ﷺ، وذلك ضمانة لدوام تذكر المسجد الأقصى المبارك وترسيخ مكانته في النفوس.

obeikandl.com